الأرض وأجزائها كالطريق، والبئر، ثم الجهات الأربع، ومعظم مظاهر الطبيعة من ريح، وسحاب ومطر، وأخيراً تلك الأسماء التي تدلّ على الممالك والمدن، وأجزاء الجسم، والأسلحة، والحجارة، وبعض الحيوان[1].

والواقع أنّ هذا التفسير الاستشراقيّ الذي يتحدّث عن تأملات لاهوتية أو خرافية، وعن فكر بدائي يجسّد كلّ شيء، يتطابق مع تفسير الغربيين لظاهرة التذكير والتأنيث، في اللغات الغربيّة، لأنّ الجنس فيها، كما يقول فندريس، ليس إلّا طبقة على طريقة «البنطو» الإفريقية التي يسيطر عليها وجود الطبقات التي تمتاز كلّ منها بلاصقة خاصّة، وعليها توزع جميع الكلمات الموجودة في اللغة.. «فالجنس في اللغات الأوروبية محاولة قام بها العقل لتصنيف المعاني المتنوّعة التي يعبّر عنها بواسطة الأسماء. وأغلب الظّن أنّ هذا التصنيف يقوم على التصوّر في أذهان أسلافنا الغابرين عن العالم، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية. وقد احتفظ بهذا التقليد حتى بعد أن عجز من يستعملونه عن فهم علّته[2].

ويرجع الأب فليش ظاهرة التذكير والتأنيث، في العربية، إلى فكرة «الطبقات» و «الأقل قيمة» «الأدنى» بقوله: «إنّ

---

(١) A. J. Wensinck, Some Aspects of gender in the Semetic languages بالاقتباس عن أسرار اللغة، ص: ١٤٨.

(٢) فندريس، اللغة، ص: ١٣٢ — ١٣٣.